Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قول الناس : « الطبع لا يتغير ولست تستطيع ان تخرج الانسان عما جبل عليه » فترى معنى غفلاً عامياً معروفاً في كل جيل وأمة ، ثم تنظر اليه في قول المتنبي :

يُرادُ مِن القلبِ نسيانُكم وتأبَى الطبـاعُ على الناقِـل

فتجده قد خرج في أحسن صورة وتراه قد تحوّل جوهرة بعد ان كان خرزة وصار أعجب شيء بعد أن لم يكن شيئاً » [1] .

ان عبد القاهر المؤمن بنظرية النظم وتوخي معاني النحو لا يمكن ان يميل إلى الالفاظ كل الميل فيجعلها اساساً للمفاضلة ، ولا يمكن أن يجنح إلى المعنى الخالي من كل مزية وان كان هو الذي يخطر في الذهن ثم يتبعه اللفظ ، ولذلك مال إلى ما اشار اليه الجاحظ وهو الصياغة والتصوير ليوفق بين اللفظ والمعنى ويجمع بينهما بعد ان رأى جماعة تسرف في تقدير اللفظ واخرى تسرف في تقدير المعنى . وهو في هذه المسألة قد قضى على ثنائية اللفظ والمعنى التي شغلت النقاد القدامى زمناً طويلاً . ولسنا في هذا القول ببعيدين عن بلاغة عبد القاهر ونقده ، والباحث في كتابيه « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » يخرج بهذه النتيجة ان لم يضع له رأياً مسبقاً يسير عليه ويتلمس شواهده كما فعل الكثيرون ، لأن ذلك سيؤدي إلى الخروج بآراء متضاربة ونزعات متباينة فمن قائل إنه من أنصار اللفظ ومؤكد انه من انصار المعنى ، وشامت بانه اضطرب في هذه المسألة . ولو أطال الباحث النظر وقرأ تحليل عبد القاهر للنصوص وفهمه لبلاغة الكلام ، ودرسه دراسة مستفيضة لخرج بأنه جمع بين اللفظ والمعى عن طريق ما يحدث بينهما من التحام في الصياغة والتصوير وبذلك قضى على ثنائية اللفظ والمعنى فكان ناقداً ينظر إلى النصوص حيث ينبغي ان ينظر اليها ، وفي تحليله للابيات : « ولما قضينا من منى .... » ما يوضح هذه النزعة ويميز بينه وبين النقاد الآخرين الذين حاولوا ان يفصلوا بين ركني الكلام .

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٢٤.